توفيق الحكيم وقضية الشعر

قضية الشعر العربي عند توفيق الحكيم قديمة .. وإن لم يكن قد كتب فيها كثيراً . لأن اهتمامه ... كان موجهاً الى القوالب الجديدة في أدبنا الحديث مما ليس له تراث يحتذى به مثل الرواية والمسرح — في وقت كان المجتمع الجديد في حاجة الى هذه القوالب الجديدة ... أما الشعر العربي فهو تراثنا الخالد الراسخ في نفوسنا وعقولنا ولم يكن محل مناقشة ولم تكن قد ظهرت له قضية معاصرة تستدعي البحث . أو الاهتمام ... الى أن ذهب توفيق الحكيم الى باريس في أوائل العشرينات فصادف ذلك ظهور السوريالية التي ولدت وأعلنت قبل وصوله بشهر أو شهرين . وكان من نتيجة تحطيم الشرحين القائمين بالثورة في الفن والأدب . فحطمت فيما حطمت قواعد الشعر التقليدية فيما سمي الشعر الحر ... وانتشر في انجلترا وغيرها من بلاد أوروبا . وكان توفيق الحكيم قبل وصوله باريس من الأزهريين المستنيرين يحب سماع القرآن ويتفكر فيه ويتأمل ما أبدع الله فيه من الشكل .. وكيف كان يبدو في النفس الواعية بأسلوب غريب : لا هو بالشعر المنظوم ولا هو بالنثر المرسل . كأنه طاقة شعرية وموسيقية معجزة ... وجعله ذلك ينصرف عن الشعر السوريالي الجديد الذي كاد يجتذبه ويقلده في بعض ما كتب وقتذاك ، ويتجه الى المصحف الذي كان يحمله معه ، وينظر الى صوره العجاب . ومنها صورة الخيول وهي تعدو ضبحاً أي صوتت أنفاسها في جوفها من العدو ... قالت الآية الكريمة في سورة العاديات .. :

والعاديات ضبحا
فالموريات قدحا
فالمغيرات صبحا
فأثرن به نقعا
فوسطن به جمعا
إن الإنسان لربه لكنود

واستلهم توفيق الحكيم من هذه الآية شعراً كتبه عام ١٩٢٦ قال فيه :

تنفس صبح من أنوف خيول
تعدو لاهثة في وهاد تمشي
أسمع في أعماقي الصهيل
امنعوها من اللحاق بأمسي
انها في غيوم تمرح

الصفحة الأولى من مقال توفيق الحكيم والذى فتح به ملف قضية التأصيل للشعر الحديث وإن بدا أنه عند النشر قد كتب مقدمة جديدة غير تلك التى احتفظ بها وننشرها هنا للمرة الأولى.